

المؤثرات الفاعلة في التراكيب اللغوية

(دراسة موجزة عن طبيعة الذات اللغوية للسان العرب)

د. / طيف الخياط (*)

أكثراً الاستعمالات اللغوية اليومية دون تبدل جوهري في تراكيبها ومعانيها.

2 - النطق وعملية الكلام وما يصاحب ذلك من تراكيب نغمية ونبرات غريبة على مستوى المفردة والعبارة والجملة وحتى «النظم» النحوية والصوتية السطحية "Surface Structure".

3 - المعالم الدلالية ومعاني المفردات المتغيرة بغير المفاهيم والمصطلحات المستعملة يومياً.

4 - الأساليب اللغوية العامة التي تشمل طريقة الكلام والخطابة والأساليب الأدبية مثل أساليب الشعر والنشر.. إلخ.

ونعتقد كذلك أن الواقع اللغوي الموضوعي الأكثر عمقاً وعني هنا النظم اللغوية الأساسية الخاصة المعروضة ضمن النظرية التوليدية "Deep Structures" التحويلية في علم اللغة الحديث تكون ثابتة نسبياً وما يدخل في النتائج اللغوية المنطقية لتطبيق قوانين هذه النظم سليقياً يمكن أن يكون في دائرة المتغيرات

ملخص البحث :

تعتبر اللغة المحور الرئيسي (من بين أمور أخرى) الذي ترتكز عليه ثقافة وتراث أي أمة حية. وهناك مؤشرات كثيرة تبين أن اللغة العربية في الوقت الحاضر تعاني الكثير من التغيرات السلبية المتشائمة لبعض اللغويين والأدباء كنتيجة حتمية للتبدلات السريعة التي يشهدها العالم في مجالات عديدة من أساليب الحياة اليومية وبالذات تأثير تلك التبدلات على اللغة التي تلازمنا أبداً كوجود حي تتعكس عليه كل المردودات اليومية وتقلباتها المستمرة.

نعتقد أن أكثر العوامل «الطبيعية» المؤثرة في اللغات تعطي نتائج سطحية نسبياً تتماشى مع التبدلات الطبيعية التي تمس كل جوانب الحياة ومنها اللغة المنطقية. ومثل هذه النشاطات الفاعلة تعتبر أمراً مفرغاً منه. وتشمل هذه التبدلات اللغوية ما يأتي :

1 - دخول مفردات قادمة من خارج اللغة الأم في

(*) جامعة بغداد / العراق - جامعة عمان / الأردن

طبيعة معقدة التراكيب مكونة من تشكيلاً تجريدية متداخلة ومتتشابكة تعمل ضمن نظم متطرفة في أساليب تطبيقها السليقي لتوصلنا إلى المكونات والتراكيب التواصلية وتظهر لنا كلامياً تتعكس في أكثر اللغات صورياً بشكل كتامي تعرف وحداته التوصيلية بالكلمات والعبارات وبالتالي الجمل المكتوبة. وهي في الواقع حصيلة عملية التطبيق السليقي لمجموعة من القواعد المحددة على مستوى المكونات اللغوية والتي يمكن أن نسميها «أطراً» أو «نماذج» "Patterns" صوتية وصرفية ونحوية. وكل إطار أو نموذج قواعدي يحمل مواصفات مميزة في الدقة المعلوماتية تعمل على إنتاج عدد غير محدد من الوحدات الكلامية التي تدخل في العبارة والجملة المقبولة منطقياً وهي في العادة مشتقة من النتاج الوظيفي للنظم اللغوية الثلاث المعروفة بالنظام الدلالية والصوتية والنحوية إلى حد ما، وتقع اللغة العربية ضمن هذه المفاهيم اللغوية.

بناء على ذلك تكون للغة العربية قابلية تعبيرية يمكن أن توصف بأنها فائقة في الدقة وبالإنتاجية اللامتناهية لأنها لغة طبيعية حية حسب مفهومنا الذي ورد أعلاه. حيث أن آية لغة حية لا تقاس فاعليتها بعدد كلماتها فحسب وإنما بحركتها التوليدية الطلبيقة ضمن ضوابط النظم الثلاث أعلاه والتي لا تقف عند حد سواء على مستوى المفردة أو العبارة أو الجملة. وهذه الفاعلية المنتجة والتي لا تتوقف عبر الأجيال هي في الواقع حصيلة للعدد المحدود من النماذج اللغوية الصرفية/ الصوتية والنحوية الدلالية. فالاشتقاق في اللغة العربية مثلاً صفة دائمة من العطاء في تركيبة المفردات. كذلك

الطبيعية. كذلك يحاول البحث مناقشة ما افترضناه علمياً وحسب النتائج التي توصلنا إليها مع إيجاد الحلول العملية لبعض الأسئلة «المتواردة» وطرح المقترنات للحفاظ على لغتنا الأدبية - المكتوبة والمنطقية من التحديات القاسية والتطور والتبدل السريع لنمط الحياة وبالتالي للكثير من مفاهيمنا اللغوية.

مقدمة:

هناك مؤشرات لغوية عديدة في الوقت الحاضر تعاني الكثير من التفسيرات السلبية المتشائمة نتيجة للتبدلات السريعة التي شملت مختلف مجالات الحياة اليومية، وأكثر هذه التفسيرات جاء كرد فعل طبيعي من الذين يحرصون على اللغة العربية والحفاظ عليها من عادات الدهر وخوفاً من كل ما يسيء إلى هذه الأمة ولغتها الخالدة.

في بحثنا الموجز هذا سنتناول الوحدات اللغوية على المستوى الصوتي ومستوى تشكييل المفردات وتركيبها التي تتأثر بالعوامل الخارجية والداخلية وعمق هذه التأثيرات والتبدلات التي يمكن أن تحصل في اللغة ومدى جدية ما يحصل فعلاً. كذلك سنحاول التطرق إلى العوامل غير الطبيعية التي تقف ضد الأسس والضوابط اللغوية الطبيعية بغية طمس معالمها أو استبدال نظامها بنظام مصنوعة بتخطيط مسبق ومنسق للنيل من الثوابت الحضارية والتراجمة عن طريق اللغة العربية وبالتالي أمّة العرب.

المفهوم العام للغة الطبيعية:

إن المفهوم العام للغة يتلخص بأنها بنية معلوماتية

حصيلة التطبيق غير الوعي للنظم الثلاث آنفة الذكر. وهكذا نرى أن الأطر أو النماذج القواعدية تعمل تكافليا على البنية القاعدية (البنية العميقа Deep Structure) والتي تقع ضمن الشوابت اللغوية. وأن ما ينتج عن عمل هذه الأطر يعرف بالكلام (وما يقابلها تمثيلا يعرف بالكتابة) وهو الناتج السطحي الأخير المعرض للتأثيرات الخارجية وهو ما نطلق عليه بالمكونات اللغوية القابلة للتغير نسبيا. إن عملية النطق هذه لا يمكن أن تتم دون أن يكون للدماغ ونظم الأعصاب دور فاعل مع العلاقة الوثيقة بالعضلات وتحركها في كل مرحلة من مراحل عملية النطق. ومن الطبيعي فإن كل تغيير ولو جزئي في أية مرحلة يكون ناتجا عن حصيلة ظواهر عاملة ومؤثرة تؤدي بدورها إلى التأثير في اللغة وتغير بعض معالمها النطقية.

وللتوضيح ما جاء أعلاه كحالة لغوية طبيعية نعيشها كجزء من الحياة اليومية، نرجع إلى نظم المكونات اللغوية الثلاث وهي الدلالية والصوتية والنحوية وهم شيئاً صرفية المتداخلة مع المكونات الثلاث، لتكون تركيبة متشابكة عملياً يصعب فصلها عن بعضها البعض إلا نظرياً لتسهيل عملية البحث العلمي والإعطاء للدراسات اللغوية الحديثة بُعداً علمياً كما هو الحال في دراسة مكونات أي مادة في الطبيعة لتشمل تفاصيل دقيقة متميزة من ناحية عملية التكوينات والتراكيب الفاعلة لغويًا. علماً أن توارد هذه النظم ليس بالضرورة ثابتة الترتيب وذلك لتدخل عملها كما جاء أعلاه وكما هو مبسط في

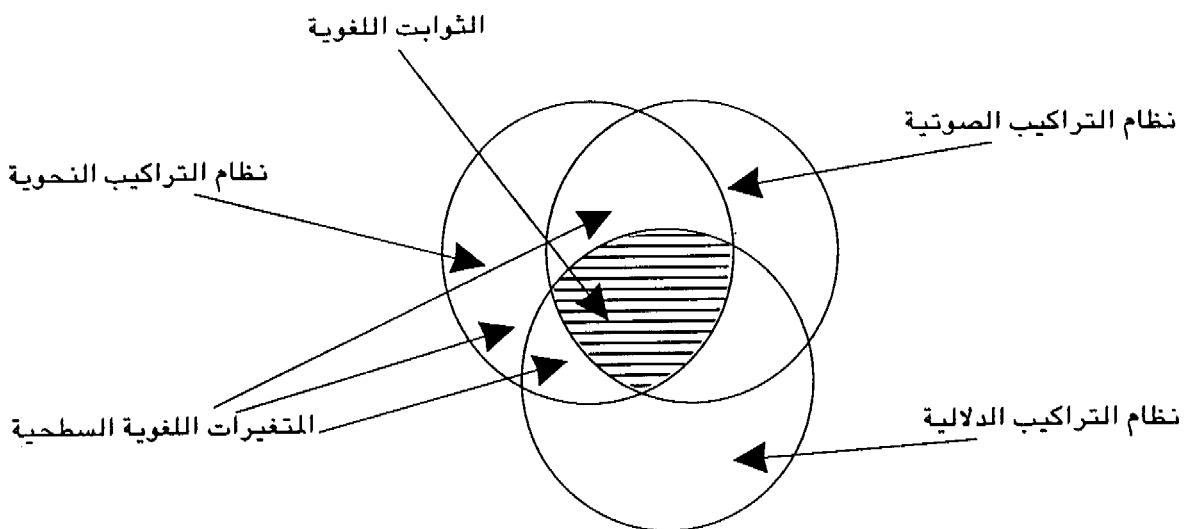
الشكل التخطيطي التالي (الشكل ١):

القواعد النحوية والدلالية التي تعمل على ديمومة العطاء للعبارات والحمل المستجدة اللامتناهية وهي صفة للغتنا مستمرة مع الحياة في الماضي والحاضر وستبقى كمصدر توليدي صفتة العامة الاستمرارية في الانتاج والتجدد، لهذا فلقد ورثنا واحدة من أغنى اللغات الطبيعية المعروفة على المستوى الكلامي والكتابي والتي زودتنا بكل ما يسهل عملية التواصل اللغوي وجعلت نقل الفكرة والمعلومة إلى الآخرين عملية طبيعية سلسلة لا لبس فيها.

الشوابت والمتغيرات في اللغة الطبيعية:

إن البحوث اللغوية الحديثة تتركز على النظام الدلالي كونه النواة التي تتمحور حولها النظم والأطر النحوية والصرفية والصوتية والتي بدورها تلعب دور البنية الأساسية في تقرير شكل ومعنى المفردة وبالتالي عملها ومكانتها اللغوي في العبارة أو الجملة (Cf. Jackendoff pp.4-10). وهكذا فإن الدراسات الدلالية الحديثة لأية لغة طبيعية هي في الواقع دراسة التراكيب والمكونات الفكرية لتلك اللغة وإن مهمة النظم اللغوية وأطراها هي تزويد الهيكل الأساسي المنظم لهذه الأفكار وإخراجها إلى واقع الحال كمجموعة من المعلومات المنطقية إنسانياً (Ibid; cf. Lackoff p.25) وبالتالي تكتب حسب حسب نظم موضوعة لهذا الغرض بتميز تراثي عميق نطلق عليه لفظة «لغة». لذا نرى أن الواسطة المسؤولة عن كيفية سير عملية التواصل اللغوي بين أبناء المجتمع هي في الواقع تدور حول المحور الدلالي.

وفي هذا المجال يمكن أن نتطرق إلى الشوابت والمتغيرات في التراكيب اللغوية التي هي في الواقع



الشكل ١: النظم اللغوية الثلاثة وتدخلها مع بعضها نسبياً لتكون الثوابت والمتغيرات في آية لغة طبيعية.

الموضوع نجد أن الثوابت تمثل التراكيب الأساسية أو التحتية والتي تعتبر مصدر كل ما هو منطوق وبالتالي مكتوب ضمن الحدود القومية والتراصية للغة ما. في الواقع إنَّ التغيرات الاجتماعية والفجوات الزمنية التي تفصل الأجيال تأتي في مقدمة العوامل المؤثرة في التغيير اللغوي. وهذا بالتبعية يوثر على الثقافة وحركتها في البلد وبالتالي يتأثر التراث للعلاقة الوثيقة بين الاثنين.

المكونات اللغوية الأكثر

تعرضاً للعوامل المؤثرة:

لو نظرنا مرة أخرى إلى الشكل (١) لاتضح أن المتغيرات اللغوية في حالة حدوثها تكون على المستوى الصوتي في أكثر الحالات وبالتالي تشمل المفردة لتدخل المجال الصرفي وبما أن هذا الأخير مرتبط جذرياً بال نحو والمعنى الدلالي فعليه تدخل التبدلات المجالات اللغوية الثلاث تحت مظلة

الشكل أعلاه يبين تداخل النظم اللغوية الثلاثة ولتقائهما في المنطقة المشتركة الداكنة والتي تمثل منطقة الثوابت اللغوية أو ما يُعرف بالبنية التحتية أو القاعدة وما سواها في التداخلات وخوارجها تعرف بالمتغيرات اللغوية النسبية. نلاحظ هنا أنه كلما ابتعدت الحدود عن بعضها تقل نسبة التداخلات الفاعلة وبالتالي تصبح احتمالية التعرض للظواهر المؤثرة أكثر حدوثاً نسبياً. هذا يعني دخول أصوات ومفردات غريبة وعبارات بمعانٍ غير مألوفة إلى اللغة العربية (لاحظ الملحق ١-٢) وتكون الإحتمالية أكثر منها عن المناطق المشابهة تقريباً حتى تصل باتجاه مركز التلاقي إلى منطقة «المحرمات» وهي منطقة الثوابت اللغوية المؤشر عليها في الشكل أعلاه والتي لا تسمح دخول آية صفة لغوية غريبة إلى منطقتها. بالطبع مثل هذه التغيرات إن حدثت فت تكون بسبب عوامل مختلفة تأخذ أبعاداً في الزمان والمكان وحسب عمق التبدل الحاصل. فلو تعمقنا أكثر في

أو [2] حسب اللهجة وجميع هذه التبدلات وغيرها من هذا الصنف تحدث وفق أسس وقواعد لها ضوابطها وقيودها.

وقد دخلت العربية الكثير من المفردات الأجنبية في حقول كثيرة دون تعربيها خاصة المفردات العلمية والتكنولوجية واللغوية والسياسية .. إلخ. كما هو مبين في الجدول (3) / الملحق (2). ولم يقتصر عند حدود المفردة والصوت بل تعدد ذلك إلى عبارات أجنبية كاملة ترجمت كما هي حرفيًا ولا علاقة لها بالمجتمع العربي ولغته ولكن التقدم السريع في مجال العلم والحياة أدى إلى تبدل نمط الحياة اليومية وأصبح دخول هذه العبارات على حالها ضرورة حياتية كما هي عملية في نفس الوقت وكما هو مبين في الجدول (4) من الملحق (2).

إن ما ذكر أعلاه من تغيرات وتبدلات على المستوى النطقي إنما هو صفة من صفات جميع اللغات الطبيعية ويحدث ذلك بتفاوت نسبي من لغة إلى أخرى. وبما أن اللغة العربية هي لغة طبيعية لها حجمها وزونها الاجتماعي الذي يعطي مساحات جغرافية واسعة فمن الطبيعي أن تدخل تحت مظلة المؤثرات المختلفة من قطر عربي إلى آخر وبالتالي تحدث التبدلات المحتملة وباختلاف المناطق وكما هو موضح باللهجات المختلفة سواء من ناحية التبدلات الصوتية أو المفرداتية أو التعابير والجمل التي يصاحبها في العادة تبدل في النغمة والنبرة الصوتية. وموضوع اللهجات مثبت تاريخياً في اللغة العربية فلا جدال في ذلك. فاللهجات والتبدلات آنفة الذكر صفة طبيعية تصاحب اللغة الفصحى دون عمق في التأثير عليها ضمن نظم التراكيب اللغوية الثلاث.

التأثيرات الواردة إليها حسب بعدها عن البنية القاعدية أو التحتية المشتركة بين النظم الثلاث.

جدول (1) * يوضح التبدل الحاصل على المستوى الصوتي لبعض الأصوات العربية. أي تبدل أصوات عربية إلى أخرى عربية ضمن مجموعة من الأصوات تشارك مكان وطريقة النطق لتلك الأصوات وحسب اللهجات المختلفة. فعليه نلاحظ أن التبدل الحاصل يكون على مستوى النطق وليس الكتابة. وبهذا يغطي المفردة والنغمة المصاحبة للعبارة والجملة لتصبح جزءاً من طبيعة لهجة معينة أو لهجات متقاربة وحسب نوع المؤثرات المكانية والزمانية ولأسباب تداخل بعض الشعوب مع بعض الآتي عن طريق التجاور أو سيطرتها على بعضها البعض وانتقال الكثير من الأمور والصفات التراثية والثقافية من اللغة المؤثرة.

أما النوع الآخر من التبدل الحاصل ويشمل دخول أصوات أجنبية إلى اللغة العربية لتأخذ مكانها بدل بعض الأصوات العربية كما هو موضح في الجدول (2) من الملحق (1). وفي هذه الحالة يكون هناك بُعداً في المسافة النطقية لمكان نطق الصوت وطريقة نطقه لعدم وجود صوت مماثل في النطق في اللغة العربية الحالية*. نلاحظ أيضاً أن تبلاً من هذا النوع لم يحدث كتابياً. فالكلمة تنطق بالصوت الأجنبي وتكتب دون تبدل الحرف وذلك لعدم وجود حرف عربي يماثل الحرف / الصوت الأجنبي، كما هو الحال مع الأمثلة أدناه:

/Kan/-> [can], /jadwal/-> [gadwal]
/dajaja/-> [dayaya]; /jum a/->[zum a]

نلاحظ أن الصوت /z/ يمكن أن يتبدل إلى [g], [y]

والاجتماعي. كذلك يمكن أن يتبنى الفرد أساليب مستحدثة في الكتابة متأثرة بالثقافات الأجنبية وحسب الحركات الفكرية والأدبية وتنوعها في تلك الأقطار وهذا أمر طبيعي أيضا.

نتائج البحث ومناقشتها:

نستنتج مما جاء في دراستنا أعلاه أن التبدلات اللغوية المحتملة الحدوث أمر طبيعي يتناول جميع اللغات الطبيعية وبنسب متفاوتة حسب قوانين لغوية معروفة في الأبحاث اللغوية الحديثة كما هو حاصل في تطبيق النظريات في علم اللغة الحديث وكما بينا سابقا تكون متعلقة بالبعد المكاني (الجغرافي) والزمني وتواجد شروط أخرى لها فاعليتها في كل ما يحدث من تبدل. وإعطاء فكرة موجزة عن حصيلة النتائج التي توصلنا إليها نذكر أدناه التراكيب اللغوية التي تقع ضمن احتمالات التبدلات التي يمكن أن تحدث في اللغة العربية المنطقية حسب عمل النظم اللغوية الثلاث ونتائجها السطحية المنوهة بها في حصيلة عملية الكلام وتدخلاتها المعقّدة، كما يأتي:

1- أخذ أصوات عربية مكان أصوات عربية أخرى تشتهر بخصوص نطقية مميزة نتيجة للهجات العربية المختلفة وحسب بعد بعض الأقطار العربية أو قربها من بعضها البعض [جدول (1)].

2- أخذ أصوات أجنبية مكان أصوات عربية إما لسهولة النطق أو التأثير اللغوي الخارجي [جدول (2)].

3- تبدل معنى المفردة العربية في بعض الأحوال

ويظهر لنا ذلك فقط في النغمة وقوه النبرة أو ضعف النطق لبعض الأصوات وتبديل بعضها إلى أصوات قريبة منها نطقا سواء تكلما أو قراءة ما هو مكتوب بدون المساس بالحروف وأصول الكتابة قطعا. ومن الملاحظ هنا أيضا أن التبدل أو التغير هو نسبي وجزئي كما لاحظنا وليس بالعمق الذي نلاحظه في لغات كثيرة في العالم، بمعنى آخر أنه لا يمس المنطقية المشتركة الناتجة عن تداخل نظم المكونات اللغوية الثلاث الظاهرة في الشكل (1). وهكذا نرى أن اللغة العربية (الفصحى) في كل أنحاء العالم العربي لم تتأثر جذريا على المستويين النحوى أو الصرفي (أو الدلالي) وبالطبع سيعزو الكثير منا هذه القوة التي تقف حاجزا مانعا ضد أي تأثير على لغة القرآن الكريم وإلى القرآن نفسه الذي بقيت لغته ثابتة دون تبدل ولكن اللغة الفصحى تبدلت بعض مفرداتها حسب الزمن والمكان التي تمر خلاله والمؤثرات المحيطة الكثيرة. إذن بقيت التراكيب اللغوية التحتية ونظمها ثابتة مع ثبات مصدرها الأساسي والتي تطرقتنا إليها بإيجاز أعلاه. وهكذا نرى أن الذي يتاثر طبيعيا في اللغة هو النطق لبعض الأصوات وحداثة بعض المفردات ودخول أخرى أجنبية إليها ويكون ذلك في الاستعمالات اليومية للغة المنطقية ضمن اللهجات العديدة. وببقى الأصل ثابت - أصول اللغة المكتوبة. وقد لاحظنا في أمور اللغة العربية الفصحى أنه يمكن أن تكون قد أخذت النغمة والنبرة المنطقية من اللهجة المعنية المتأثرة باللغة الأجنبية وذلك عند قراءة ما هو مكتوب أو عند استعمالها في الحالات الرسمية والثقافية نطقا فقط، وعندها يمكن التعرف على قطر المتكلم أو القارئ حسب البعد الجغرافي

«الأدبية» "Style" حسب الأساليب الأجنبية المستحدثة والمتبناة في اللغة الأجنبية.

10- العبارة الأجنبية دخلت اللغة العربية بعد تعريبها حرفيًا وهي تحمل نفس المعنى الأجنبي لضرورة التواصل اللغوي بعد أن أصبحت دول العالم متصلة مع بعضها تقنياً وعلمياً وإقتصادياً.

أما الثوابت التي تمت ملاحظتها والتي لم تتأثر بالظواهر الطبيعية التي ذكرناها أعلاه فهي:

1- الحروف العربية التي بقيت محافظة على أنماطها التراثية في العدد والشكل كتابة مع تبدل بعضها نطقاً كما ذكرنا أعلاه وحسب اللهجات العربية.

2- عدم حصول أي تبدل أو تأثير على أصول النحو العربي والقواعد.

3- عدم حصول أي تغيير في أصول علم الصرف وتطبيقات نظمه وقواعده.

4- بقاء علم النظم الصوتية وأصول النطق للأسوات العربية وعلم الصوتيات العربية كما هي دون تبدل.

5- حافظ فقه اللغة العام للغة العربية على أصوله وجزوره العميقه وكذلك الحال مع علم المنطق في اللغة العربية.

وهكذا نرى أن مجموعة النظم اللغوية العربية وقواعدها لا تتأثر بقدر ما نراه في حصيلة تطبيق هذه النظم وقواعدها، فمثلاً عند دخول أصوات أجنبية ضمن حدود النظام الصوتي للغة الأم عندها إما أن تتبع الأطر أو النماذج الصوتية العربية وقواعد

المكانية والزمنية وحسب متطلبات الحياة اليومية المستحدثة وذلك دون أن يتبدل شكلها الكتابي وال Phonetic مثل «تقني» و«شريحة» و«طبقة» ... إلخ.

4- استحداث بعض المفردات العربية التي لم تكن موجودة قبلاً وتأخذ هذه المفردات نمط التصريف اللغوي العربي، مثل «شخصنة»، «مهنة»، «دولة» و«مكاننة» .. إلخ.

5- دخول مفردات أجنبية إلى اللغة العربية مشابهة في اللفظ لمفردات عربية قديمة مثل مفردة «أطلس» و«صلك» .. إلخ ولكن بمعنى آخر مختلف جداً.

6- مفردات أجنبية كثيرة دخلت اللغة العربية دون تعريبها وهي كثيرة جداً. بالطبع تأخذ هذه المفردات النبرة العربية مع الأخذ بنظر الاعتبار تبديل الصوت الأجنبي بصوت عربي عند نطقها. [لاحظ الجدول (3)].

7- المفردة الأجنبية التي دخلت العربية وعربت بمعناها النسبي فقط مثل مفردة «حاسوب» و«حاكي» و«مكبرة صوت» و«مسجل» و«مصدع» .. إلخ.

8- تبدل النغمة والنبرة العربية المصاحبة للمفردة والعبارة والجملة حسب قرب وبعد الأقطار العربية عن بعضها وخلفية علاقة كل قطر بدولة أجنبية مؤثرة عن طريق أو آخر. كما نلاحظ ذلك وبوضوح تام في النغمة والنبرة المستعملة في أقطار المغرب العربي عند نطق العربية الفصحى والتي هي نفسها في اللهجات وقريبة من النغمة والنبرة الفرنسية.

9- دخول أساليب أدبية أجنبية في الكتابة

وتستمر التبدلات في أصوات أخرى مشابهة وتبعاً للهجات المستعملة. لاحظ أن مثل هذه التبدلات الصوتية لا مكان لها في النظام الكتابي العربي الحالي. كذلك لا يؤثر هذا التبدل على نظام التراكيب الصوتية للعربية الفصحى المنطقية والمكتوبة صحيحاً. يمكن أن يكون هناك إضافات لقوانين هامشية لا تمس النظام القاعدي للأصوات العربية وبما أن عملية دخول هذه الأصوات كبدائل لأصوات هي في الواقع موجودة في العربية فيمكن عندها حدوث بعض التشوش في التركيبة المفردة من ناحية المعنى فمثلاً مفردة «ثائر» لا تحمل معنى «سائِر» عند النطق.

وبما أن هذه البدائل تأخذ مكانها في التكلم سليقياً منذ الطفولة ووجود الأصل في حالات كثيرة في نفس اللهجة فإن مكان المتكلم أن يفطن لذلك ويرجع أو يحاول الرجوع إلى الأصل بدل الدخيل عند النطق ليصبح الحالة الأولى (اللهجة) حالة خاصة وليس عامة في نطق هذه الأصوات في المفردات المعنية. وهذا معناه أن عملية التقييم (التقويم) الصوتي ممكنة وبسيطة للتلافي والإلتباس الممكن حصوله عند نطق مفردات خارج سياق الجملة أو العبارة أو ضمنها مثل الإلتباس الخالص في نطق المفردة «قلم» والتي تصبح «أَلم» في اللهجة المصرية وبعض اللهجات اللبنانيّة والفلسطينيّة. كذلك الحال مع الكثير من المفردات الأخرى التي ذكرناها أعلاه وغيرها مثل المفردة «حافظ» تصبح «حافز» ومفردة «قش» تصبح «غش» أو العكس هو الصحيح في بعض لهجات دول الخليج. لذا فإن ذلك وحسب اعتقادنا لا يؤثر على اللغة العربية الفصحى سواء كانت مكتوبة أو منطقية.

استعمالاتها أو أن تنفرد وتشذ عن دائرة تلك الأطر أو التماذج وبالتالي تبقى خارج ذلك النظام. أي تبقى هذه الأصوات المنفردة خارج النظام الصوتي العربي. فمثلاً الصوت /g/ يعرب إلى [z] «جيم» أو [غ] «غين» أو [y] «باء» وحتى في كثير من الأحيان يتتحول إلى [k] «كاف». فعليه نرى في العربية الفصحى مكتوباً واحداً من هذه الحروف التي تمثل الأصوات المذكورة في العربية مستعملة حسب اللهجة، لذا نلاحظ أن الصوت /g/ الأجنبي يبقى بعيداً عن دائرة الأصوات العربية وأحياناً كثيرة يختلط مع الصوت العربي /f/ «فاء» وهكذا الحال مع الصوت الأجنبي /c/ والصوت /p/ والصوت /h/ والتي تأخذ مكانها في الكثير من الحالات الأصوات العربية /z/ «جيم» و/b/ «باء» والصوت /s/ أو /S/ العربية على التوالي ... إلخ.

وقد قمت ملاحظة أخرى في هذا المجال وذلك أن بعض الأصوات الأجنبية التي لها مقابل مشابه في العربية تأخذ مكانها دون لبس في النظام الصوتي العربي كما لاحظنا أعلاه.

ويصبح الأخير أكثر استعمالاً من الأصل مثل الصوت /z/ أو «زاي» الذي له مقابل في العربية يأخذ مكان الصوت العربي /g/ «ذال» فعندها تلفظ بصورة غير طبيعية ولكنها تكتب بالحرف العربي الأصل مثل «ذلك» --- «زلك» لفظاً وتكتب «ذلك». وكذلك الحال مفردة «ذكي» --- «زكي» ... إلخ، وهكذا الحال مع /θ/ «ثاء» الذي يختفي ويأخذ مكانه الصوت /s/ «سين» كما هو في مفردة «ثائر» --- «سائِر» و«ثامر» --- «سامِر» و«ثلاثة» - - «سلسة».

القديمة. ونعتقد أن مثل هذه المحاولات تحاول الوقف ضد تيار طبيعي ولكنها محاولات غير طبيعية فإنها لن تصل إلى أهدافها والتاريخ يشهد على الكثير من الأحداث التي صاحبتها محاولات من هذا النوع مثل سياسة التتريرك في العهد العثماني والفرنسية في المغرب العربي أثناء سيطرة فرنسا على هذه المنطقة ليست بعيدة عننا. إن هذه المحاولات مصنعة ومفروضة لذا تحدد زمانياً ومكانياً وبصورة طبيعية، مستندة إلى الوعي القومي والثقافي كعامل مساعد للتغيرات الطبيعية الأخرى للوقوف بوجه مثل هذه المحاولات. ومثل هذا الاسناد مرتبط جذرياً بالتراث واللغة وتاريخ الأمة فلدينا في الوقت الحاضر حركات أدبية وثقافية واسعة ومنتشرة في أرض العرب الواسعة ووسائل النشر الثقافية والعلمية أصبحت عاماً أساسياً في انتشار هذا الوعي المطلوب. والحفاظ على الذات اللغوية أصبح حاجة ماسة وواجبأً قومياً ووطنياً مطلوب من المشاركة لغويًا في إسناده. لذا نلاحظ أن مقاومة محاولات التغيير أصبحت عملية ذاتية متعلقة بالأجيال المفتوحة على المستقبل خاصة الأطفال في المراحل التعليمية الأساسية. والتفاؤل هنا أصبح وارداً خاصاً وأن أطفالنا أصبحوا يستعملون الكثير من العبارات والمفردات العربية الفصحى دون جهد وأصبحت هذه المفردات والعبارات تختل الكثير من أصول التعامل التواصلي (الكلامي) اليومي بينهم سواء في الدراسة أو الحياة البيتية أو البيئية اليومية. وهكذا اخترى الكثير من المفردات والعبارات العامة التي كنا نستعملها ونعيشها في الماضي القريب وأصبحت في عداد النسيان.

مكمن الخطورة على لغتنا يوجد في الأصوات الأجنبية مثل /v/ و /p/ و /t/ ...إلخ وذلك عند النطق فقط. والخطورة الكبرى تكمن في الدعوات الهدافة التي تمس النظام الكتابي العربي ونظم التراكيب اللغوية الثلاث وهي مجرد دعوات تدخل ضمن المحاولات المصنعة الهدافة ولكنها خطيرة جداً في حالة الفوضى الإجتماعية والهدر الثقافي والتراثي والتي يجب إيقافها بكل الوسائل المتاحة خاصة بتبيان الخطورة على الناحية الثقافية والعلمية لكونها حجر عثرة مؤكدة وضياع تراث أمّة بكامله وبالتالي تشويه لتاريخ تلك الأمة كما حدث في بداية القرن العشرين للكثير من الأمم التي فقدت لغتها وتراثها وابتعدت عن حضارتها كلياً. وأبسط الدعوات لهذه الحركات تتبرقع بتحسين الأحوال الإجتماعية والخروج من «التخلف» (المزمع) في جميع المناطق التي تجد فيها آذاناً صاغية والتي تخضع لأنماط معروفة. أو إن الفصحى صعبة ولا تتماشى مع أحداث العالم المسرعة إلى الأمام. لذا يدعون أن العامية أسهل، وبهذا يطمئنون إلى تفكيك اللغة العربية وبالتالي إبعادها عن الحياة اليومية كلياً. والرد العلمي بسيط جداً وهو أن آية لغة طبيعية تكتسب سلبياً، وتصبح سهلة الاستعمال اليومي وهذا بالنسبة للهجات. وبما أنه هناك مجال طبيعي أيضاً بالابتعاد عن اللهجات التدريجي وتعزيز النفس على اللفظ الصحيح خاصة في بدء مراحل اكتساب اللغة عند الطفل فعندما تصبح العربية الفصحى هي السائدة في السهولة وتصبح اللهجة المتأثرة أجنبية هي الصعبة وبالتالي الابتعاد عن الاستعمال يؤدي إلى انثارها كما حدث للكثير من اللهجات العربية

اللغة دون دراية منه. ثم يأتي بعد ذلك دور الإبداع اللغوي في الكتابة والخطابة والكلام.

2- يعتبر المعلم المثقف تربويا ولغويا العامل الأساسي في إنجاح المهام الخطط لها تربويا و المؤثرة في عملية التعليم اللغوي المطلوب. لذا نقترح الاهتمام بالعلم لغويًا بجانب المتطلبات التربوية والأخلاقية الأخرى.

3- وإذا ما توفرت متطلبات الفقرة (2) أعلاه نرى أن يبتعد المعلم المترمس لغويًا عن كل ما يعرقل إمكانية الطفل من التعبير نطقاً عن خواطره مستعملاً قدر الإمكان اللغة العربية التي يستعملها أهل الإعلام المرئي والمنطوق ومن ثم يحاول التركيز فيما بعد على العربية الفصحى. كذلك يركز على عدم تشجيع استعمال العامية سواء داخل الصدف أو خارجه ومساعدة الطفل على التمكّن من القراءة المسموعة السليمة.

4- تقييم علمي لغوي وتربوي للمعلم ومن ثمة الطفل ومتابعة ذلك من قبل متخصصين في الحقولين اللغوي والتربوي - التعليمي مع الاستمرار في عملية التشوّيق اللغوي النفسي للمعلم والطفل أثناء عملية التعليم والتعلم.

5- إدخال الأساليب التربوية الحديثة المبنية على أساس إيصال المعلومة الصحيحة أو تلقيها وحسب وسائل الإيضاح المتقدمة تقنياً وعلمياً ويكون ذلك على مراحل التعلم المختلفة، خاصة التركيز على مراحل تعليم وتعلم مهارات اللغة الأربع وهي: الإصاغة - التكلم - القراءة - الكتابة.

6- الإنبهار الجدي إلى نوعية ما يعرف الآن بل اللغة

مع كل ما جاء أعلاه والذي يوحى بالتفاؤل نقول أن الموضوع يحتاج إلى وقفة واعية دائمة للحد من المحاولات المصنعة وعدم افساح المجال لها بأخذ أي حيز من حياة أطفالنا بالتأثير عليهم المباشر أو غير المباشر، وذلك باستغلال التقدم التكنولوجي للغة «الم رئيسة» و«المحكية». ولن تكون في موقف الحبيطة والخذر في عصر التقنيات العلمية المتقدمة والقوى الاقتصادية المؤثرة لحفظها على الذات اللغوية وديمومة نظمها للعمل والاستمرارية في التحرك دون أن يشوبها أي تعثر هادف.

و كنتيجة للحصيلة المستخلصة من بحثنا هذا نقترح ما يأتي:

1- الاهتمام بالطفل واللغة ومناهجها: بما أن اللغة هي حاجة طبيعية للتواصل الاجتماعي نطقاً وإيصال المعلومة إلى الآخرين سليقياً لسد الحاجات الأساسية للفرد وبالتالي بين أفراد المجتمع ككل نرى وجوب الاهتمام بتربية الطفل لغويًا منذ بداية الوعي اللغوي لديه أي منذ المراحل التي تسبق الروضة والتعليم الأساسي و持續 هذه الاهتمامات خلال مراحل التعليم المختلفة وخلق وتوفير كل المستلزمات والمتطلبات اللغوية خاصة المشوقة منها وبالتحديد في المراحل الأولى للتعليم والتعلم حسب النظريات التربوية واللغوية الأكثر حداثة والمضمونة النتائج. ومن هذه الاهتمامات بذل المجهود الكافي لتحسين وتطوير المناهج اللغوية والتركيز على تنمية القدرات اللغوية لدى الأطفال سواء أكان على مستوى انتقاء القصص المدرجة في إلقاء القدرات اللغوية لدى الأطفال أم على مستوى الأسلوب البسيط والإخراج المؤثر والمشجع على استمالة الطفل للاستحواذ على

التعليم العالي ووزارة الإعلام لهم خلفية جيدة في مجال اللغة والأدب ولها صلة بأدب الأطفال ولغتهم، بجانب تخصصاتهم المطلوبة. وتكون بمستوى مديرية عامة تعنى بكل ما جاء في الفقرات العشر أعلاه ولا تتبع الأساليب التربوية النمطية المعروفة وتلتزم بمسايرة العصر ومتطلباته المتغيرة دورياً إن لم تكن يومياً وبسرعة مما يتطلب المتابعة والتغيير في الأساليب التربوية والتعلمية بين فترة وأخرى وحسب الحاجة الآنية للتقدم العلمي والتقني.

12- إشراك اللغويين المتخصصين في اللغويات الحديثة والمعروفين على مستوى البحث العلمي في مجتمع اللغة العربية في الوطن العربي.

أخيراً نقول إنه ليس هناك انحسار لغوي كما يدعى البعض، يمكن أن يكون هناك انحسار ثقافي بسبب من الأسباب ولكنه ليس بالضرورة نتيجة لغوية لأن الثقافة والأدب مع ارتباطهما الوثيق باللغة إلا أنهما يكونان حالة خاصة. واللغة ليست حالة وإنما واقع طبيعي يغطي كل المساحات الاجتماعية الواسعة وكل نواحي الحياة اليومية المشتركة في أقطارنا العربية.

نقول إن عصمنا هو عصر التكنولوجيا المتقدمة والبرمجة الإعلامية المعقدة في وسائلها وأقمارها الصناعية التي تغطي مساحات مفتوحة يصعب التحكم فيها أو السيطرة عليها ضمن حدود معينة. فعلينا بالطفل، بمتابعة وتقدير كل ما له علاقة بلغته وعدم السماح بإفساد ذوقه اللغوي لأن اللغة هي تراث الأمة الذي لا ينضب معينه والطفل هو العامل الفاعل في صياغة وبلوره تراث الأمة والحفاظ عليه

الم رئيسة والمسموعة (وإلى حد ما «المقرؤة») والمستوى العمري والذكائي للطفل بجانب الخلق والإبداع في برامج أغاني وأناشيد وموسيقى الأطفال وغيرها في التلفاز والحاكي ورصد ميزانية سخية للتلفزة التربوية وما يتاسب مع المستلزمات والمتطلبات التربوية لكل مرحلة من مراحل التعليم.

7- إنشاء مسارح خاصة بالأطفال يكون للأطفال فيها دور مميز في التمثيل مع التأكيد على سلامة اللغة المنتقاً وいくون للأغنية العربية مكان مرموق في المسرحيات.

8- إصدار المجالات التربوية الخاصة بالطفل يساهم فيها الأطفال المبدعون نسبياً مع نشر حلقات من القصص العربية التراثية وغيرها بجانب القصص العالمية التربوية في هذا المجال يؤكّد في إصداراتها بأن تكون مصورة وغير نمطية تباع بأسعار رمزية للأطفال على أن تستند مادياً وإدارياً من الجهات التربوية والإعلامية المسؤولة في الدولة.

9- توحيد المناهج والمفاهيم اللغوية في المدارس الرسمية والخاصة على المستوى القطري على الأقل ويكون ذلك تحت إشراف لجنة متخصصة لها خلفية علمية في النظريات اللغوية الحديثة وعلم اللغة العام وعلى اكتساب اللغة عند الطفل.

10- تشجيع المنافسات اللغوية بكل أنواعها خاصة بين المدارس الإبتدائية والثانوية بتهيئة كل ما تحتاج إليه هذه المنافسات اللغوية من مختصين إلى جوائز تشجيعية وعلى مستويات مختلفة.

11- أن تكون هناك مؤسسة مسؤولة في الدولة - ولتكن في وزارة التربية - فيها أعضاء من وزارة

وردود أفعالنا تجاهها. لذا فخوفنا على لغتنا شيء طبيعي وما هو طبيعي في هذا الحال هو حالة مشروعة والخذر والخوف على لغتنا وبالتالي تراثنا هو أمر مفروغ منه ضمن هذه الشرعية.

عبر الأجيال. وهنا نقول بوجوب الحذر والحيطة. والخذر سمة من سماة طبيعة الإنسان تأتي نتيجة الحرص الصادر عن الخوف من النتائج السلبية التي يمكن أن تصيبنا في حالة وجود خلل ما في تصرفاتنا (وما أكثرها في أيامنا هذه) ومنها تصرفاتنا اللغوية

ملحق (10)

الصوت	البديل	Changes	Phonetic	ملاحظات
ذ --- <	[z] / [d]	/ ڙ / --- >	(Emphatic)	التبديلات الصوتية الحاصلة كنتيجة لكل قاعدة صوتية تكون مبنية على نوع اللهجة وتقرب موقع نطق الصوت الأصلي والبديل الحاصل.
ث --- <	[s] / [t]	/ ڦ / --- >		
ق --- <	[?] / [g]	/ ڦ / --- >		
غ --- <	[k] / -	/ گ / --- >		
س --- <	[z] / -	/ ڦ / --- >		
ظ --- <	[z] / -	/ ڙ / --- >		
ج --- <	[y] / -	/ ڙ / --- >		

جدول (1)

تبدل بعض الأصوات العربية إلى أخرى عربية حسب اللهجات المختلفة

الصوت	البديل	Changes	Phonetic	Examples Transcribed Phonetically
ج --- <	[k] / [ڙ]	/ ڙ / --- >	[gadwal] / [ڙadwal] /	/jadwal/ ---> [gadwal] /[ڙadwal]/
ق --- <	[g] / -	/ گ / --- >	[ga:l] / -	/ka:l/ ---> [ga:l] / -
ك --- <	[?] / -	/ ڦ / --- >	[ca:n] / -	/ka;n/ ---> [ca:n] / -

جدول (2)

تبدل بعض الأصوات العربية إلى أخرى أجنبية وحسب تأثير تلك اللغات

ملحق (2)

أدبية	لغوية	فلسفية	علمية	دبلوماسية	عامة	حقول أخرى
دراما رومانسية كلاسيكية ديناميكية فلكلور تراجيديا كوميديا	مورفيات فونيماز الومورفات فونولوجي اكوستيك "liquid features in phonetics"	إيديولوجية برجوازية براهماتية سريرالية ديمقراتية فلسفية بيروقراطية	الكترون جينات ساكات صونار كاميرا فينيقات	دبلوماسية بروتوكول اتيكيت فنصل أمبيرالية ينسكو/ يونسيف	اكسيسوار مونتاج كاريكاتير فيلم سيناريyo تلفزيون/ فيديو (أطعمة) ومشروبات ومليبوسات كثيرة جدا أخرى)	تكنولوجية وعسكرية مختلفة حقول أخرى متعددة
.	الخ	الخ
.	الخ	الخ
.	الخ	الخ

جدول (3)

بعض المفردات الأجنبية التي دخلت العربية دون ترليب

اللغة الإنجليزية	تعابير مغربية عن
Expressions in English	
Hot spots	مناطق ساخنة
The Green Light	الضوء الأخضر
The Green Belt	الحزام الأخضر
The Green Peace	السلام الأخضر
The Red Line	خط الأحمر
Programming	برمجة
To Bridge the Caps	بناء الجسور
Human Rights	حقوق الإنسان
.	.
.	.
etc	الخ

المصادر :

- Brown, R. (1973). A First Language: The Early Stages. Harvard University Press
 Lackoff, George (1987). Phonology and Syntax. MIT Press, Cambridge, Mass.
 Jackendoff, Ray (1985). Semantics and Cognition. MIT Press, Cambridge, Mass.

هامش :

- * هناك بعض النظريات التي تؤمن بأن بعض هذه الأصوات كانت مستعملة في لهجات العرب قبل الإسلام. (لاحظ الملحق).

جدول (4)

بعض التعبيرات الأجنبية التي دخلت العربية مترجمة مع تعبير مشابهة كثيرة